دراسة معجم الحقول الدلالية في قصيدة السجن

ديوان "حنو الضمة سمو الكسرة" للشاعر محمد الفقيه صالح نموذجاً

أمينة خليفة هدريز
جامعة صبراتة – ليبيا

الملخص

حظيت دراسة المعجم اللغوي باهتمام الدارسين قديما وحديثا، إلا أن مجال الحقول الدلالية لم يحظ بالاهتمام إلا حديثا وبخاصة في تطبيق هذه النظرية على الأدب بنوعيه النثري والشعري، فهذا البحث يهتم بدراسة معجم الحقول الدلالية في قصيدة السجن من خلال ديوان "حنو الضمة سمو الكسرة" للشاعر الليبي محمد الفقيه صالح، إذ تهدف هذه الدراسة من خلال نظرية الحقول الدلالية بتسليط الضوء على أهمية التحليل الدلالي لبنية اللغة الشعرية لكونها تخضع لانزياحات تخرجها عن دلالاتها المعجمية إلى دلالات إيحائية جديدة تكتسبها من السياق. تعتمد الدراسة في تحليلها على المنهج الأسلوبي، حيث توصلت إلى أن بنية اللغة الشعرية في الديوان تشكلت ضمن ثلاث معاجم رئيسية: معجم الثورة والتحدي، معجم الحزن والمرارة، معجم الأمل والتفاؤل.

التمهيد

على الرغم من اهتمام الباحثين بالدراسات اللغوية قديما وحديثا وخاصة في مجال اللسانيات المهتمة بالمعاجم، إلا أن مجال معاجم الحقول الدلالية لم يحظ بالاهتمام الكافي إلا حديثا وبخاصة تطبيق هذه النظرية على الدراسات الأدبية وتحليل الخطاب الأدبي العربي، إذ تعد نظرية الحقول الدلالية من أهم أبواب علم الدلالة في الدراسات اللغوية الحديثة، فقد ربطت مجموعة الدراسات اللسانية الحديثة بين المعجم وعلم الدلالة، ونشأت نظريات تهتم بدراسة

المعنى في المعجم؛ منها نظرية الحقول الدلالية التي دخلت مجال الأدب واستفاد منها في تحليل الخطاب الشعري، فالمعجم كما عرّفه مجمع اللغة العربية هو ديوان لمفردات اللغة مرتّب على حروف المعجم[1] ولكن مفهومه اتسع ليصبح "مجموع الكلمات التي يوظفها كاتب ما في عمل أدبي"[2]، لذا فإن المعجم الأدبي لكاتب ما يختلف اختلافا بينا عن المعجم كما عرّفه المعجم الوسيط وغيره من المعاجم اللغوية ، فإذا كان البحث في المعجم اللغوي يعني الوقوف على معان محددة للكلمة سعيا لحصرها ، فإن البحث في المعجم الأدبي هو بحث في السياق الذي تخضع له الكلمة مع احتمال خضوعها لانزياحات تبعدها عن معناها المعجمي الأصلي[3] فالحقول الدلالية تعنى "بدراسة الكلمات من خلال تجمعها في حقول دلالية"[4]، حيث ترى هذه النظرية أنه لكي نفهم معنى كلمة يجب أن نفهم مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليا التي توضع تحت لفظ عام يجمعها كما عرّفها الباحث اللغوي أحمد مختار بـــ"الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي هو: مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها"[5]،إذ يتفق أنصار هذه النظرية على ضرورة مراعاة السياق الذي ترد فيه الكلمة، وذلك من خلال البحث عنها في مجالات استعمالها لأن؛ "البنية اللغوية في الشعر لا تتحدد بالكلمات بل بالصيغ وعندما يتم تفكيكها إلى وحدات دنيا بحثا عن أعدادها وحقولها وتبادلاتها، تكون قد فقدت مواقعها في منظومة التركيب الشعري وهي التي تمنحها أبرز فعالياتها الوظيفية موسيقيا ودلاليا"[6].

---

[1] مجمع اللغة العربية 2004، المعجم الوسيط، مكتبة دار الشروق، ط4ج:1: 607

[2] عمر، أحمد مختار، علم *الدلالة*، عالم الكتب، القاهرة 1993ص79

[3] ينظر، بروين، حبيب، *تقنيات التعبير في شعر نزار قباني*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999،ص53

[4] جبل، عبد الكريم محمد حسن، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997 ص23

[5] عمر، أحمد مختار، علم الدلالة ،1993ص80

[6] فضل، صلاح، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، 1995ص45.

أننا لا يجب أن ننزلق في تحديد معنى الكلمة من خلال سياقها فقط، بل يتحتم على الشاعر الحفاظ على معيار درجة الانزياح في معجمه الخاص؛ ليحافظ على علاقته بالمتلقي ولا يفقد الوظيفة الجمالية في الآن نفسه، فالمحافظة على أدنى ما في الكلمة من مضمون وصفي عند اختيار الشاعر لمعجمه دون قطيعة مع المتلقي، يتيح له انشاء لغة شعرية لها قيمة جمالية وإيحائية، وبذلك أهم ما جاءت به نظرية الحقول الدلالية هو التصنيف القائم على الدلالة المعجمية للكلمة، إلا أن السياق يبقى له اعتباره كما يذهب إلى ذلك أنصار هذه النظرية أنفسهم[7].

دخول دراسة المعجم من المجال اللغوي الذي نشأت فيه إلى مجال الدراسات الأدبية والشعرية، يسمح للدلالة المعجمية الأصلية بتجاوز الوصف والتصنيف إلى مجال نظرية الحقول الدلالية، عبر دراسة السياق الذي يخضع له المعجم داخل النص الشعري، لكونه مجالا للانزياح وإكساب المعجم دلالات جديدة تختلف في درجة اقترابها من الدلالات الأصلية أو ابتعادها عنها، والسماح لها بالخروج من الانغلاق البنيوي للنص الأدبي، هذا لا يعني إلغاء المعنى المعجمي الذي تبقى له أهمية في استكشاف دلالة المعنى، حيث المعجم في الإبداع يكتسب صفة الملكية الشخصية، بينما في المعاجم اللغوية تبقى ملكيته جماعية، لذا فالمعجم الشعري هو " القاموس اللغوي للشاعر والذي تلّون من خلال ثقافته وبيئته ومناخه الذي عايشه"[8].

نظرية الحقول الدلالية التي اتخذتها الدراسة أداة لتكشف بها عن المعجم الشعري في ديوان "حنو الضمة سمو الكسرة"، من خلال قدرة الشاعر على اختراق المألوف والإنصات إلى تحولات المفردة في سياق ما تنتجه من دلالات جديدة، عبر وسيلة انتقاء المفردات والألفاظ من منبعها اللغوي لصالح غواية الابتكار الذي هو غاية المنجز الشعري لدى الشاعر، حيث يسعى في

[7] ينظر، عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، 1993ص87

[8] حبيب، بروين، ص53

اختياراته الأسلوبية إلى تحرير الألفاظ من سياقها المعجمي ودفعها نحو لعبة الدلالات وتحولات المعنى، إذ تتخطى هذه الألفاظ مظاهر التوصيل بلوغا للمستوى الإيحائي والجمالي، الذي يتموضع في حيوية المجاز والانزياحات والانحرافات اللغوية، هذه الدراسة تسعى لتقصي الحقول الدلالية في ديوان "حنو الضمة سمو الكسرة" الذي كتبت قصائده في السجن السياسي الليبي في الفترة ما بين 1978، و1988، وسيتم التركيز على: معجم حقول الثورة والتحدي، ومعجم الحزن والمرارة، ومعجم التفاؤل والأمل، وهي المعاجم الأكثر دورانا في قصائد الديوان.

كتب هذا الديوان الشاعر محمد الفقيه صالح، وهو شاعر ليبي معاصر، ولد في مدينة طرابلس في 1953/11/12م وبها تلقى تعليمه الأول، وبعد انهاء فترة دراسته الثانوية سافر إلى مدينة القاهرة ضمن بعثة دراسية لاستكمال دراسته الجامعية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة سنة 1971م، في عام 1975م تحصّل الشاعر على درجة البكالوريوس بعد تخرجه من الجامعة، رجع إلى ليبيا، بعد عام من تخرجه[9] اعتُقل وسُجن، وبعد خروجه من السجن عَمل موظفا في وزارة الخارجية الليبية، حيت عَمِل موظفا في سفارات ليبيا في بعض الدول الأوربية. توفي في مدينة مدريد أسبانيا 3 يونيو 2017. له أعمال منشورة:

ـــ ديوان "خطوط صغيرة في لوحة الطلوع"، الدار الجماهيرية، ليبيا، ط1، 1999م.

ـــ كتاب "أفق أخر" مقالات، منشورات مجلة المؤتمر، طرابلس، ط1، 2002م.

ـــ ديوان "حنو الضمة سمو الكسرة"، اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، طرابلس، ط1، 2008م.

ـــ ديوان قصائد الظل 2016م.

ـــ الثقافة الليبية المعاصرة ملامح ومتابعات نقد 2016م.

[9] مليطان، عبد الله، معجم الشعراء الليبيين، دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني، طرابلس، 2001، ص486

الحقول الدلالية لمعجم الثورة والتحدي

النص الشعري مهما كان غنيا بدلالاته، فإنه يعد نتاجا لذاكرة فردية أو جمعية فهو يقع ضمن سياق ثقافي أو تاريخي أو اجتماعي أو سياسي تحكمه لغة لها قواعدها وقوانينها، لذا عملية القراءة والتأويل تكون مرتبطة بمعرفة اللغة ولعبة الانزياحات فيها وبثقافة القارئ ومرجعياته المعرفية وكذلك بقواعد اللعبة النقدية ومن ثم فهي محددة بالسياق الذي نشأت فيه، فالنص يمتلك مساحة جمالية في تكوينه في مقابلها يترك للقارئ مساحة جمالية فهو شريك في النص من خلال عملية القراءة والتأويل[10].

النصوص الشعرية في ديوان الشاعر اتجهت إلى خلق حقول دلالية هي نتاج القيود والقمع، يأتي في مقدمتها لغة الثورة والتحدي والصمود وما تنتجه من أصوات صائته متمردة وتراكيب نارية سمتها العنفوان والتجلد لتوازي قوة الخصم وقمعه وتسلطه.

اختيار الشاعر من قاموس الطبيعة الغاضبة ألفاظا تعادل فورة الغضب والاحتجاج التي تعتمل في نفسه وتعبر عن مرارة القهر والظلم ،حيث كشف ما توصلت إليه الباحثة من خلال تقصي الحقول الدلالية في معجم الديوان، أن هناك معجم حقول دلالية يجمع بين معجم الثورة والغضب ومعجم التحدي، يجمعهما حقل **النار** ومولداتها الدلالية متجاوزة معناها المعجمي لمعنى دلالي من انزياحها الذي مدّ النص بطاقة إيحائية ورسخ دينامية الحركة فيه وهذه الحقول مستمدة من جذور معجم النار الذي يتكون من 10 جذور بحمولاتها الدلالية المعبرة عن الثورة والغضب وهي: (**النار، الجذوة، الحريق، والاشتعال،زيت ناري، يشعلني، عود الثقاب، الانفجار، الإيقاد، غيظ النار**).

المعجم الدلالي لحقل النار المعبر عن الغضب والثورة يكشف جمالية اللغة في تشكلها بخروجها عن نظامها المعجمي لتعبر عن معاني الثورة والغضب،

[10] ينظر، قطوس، بسام، الإبداع الشعري وكسر المعيار، مجلس النشر العلمي لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت، 2005، ص16

فقد حرص الشاعر على توظيف معاني الغضب عن واقع مدمر بالجذوة والاشتعال والإيقاد في محاولة لإبقاء شعلة الثورة مشتعلة، وهو ما نرصده في قول الشاعر:[11]

كان في خاطري جذوة أطفأوها
اشعلتها... أطفأوها
عاودت إيقادها... طعنوني
فأودعتها قلب عاشقتي
وأسريت في خاطر الأرض غيمة.

وأيضا خرجت الكلمة عن معناها المعجمي لتدل على حقول الثورة والغضب والعنفوان وتتحول إلى قوة جارفة ترفض الظلم والقهر، ذلك أن إدراج المفردات في حقول دلالية واستثمارها شعريا يخصب المعاني ويزيد من ثرائها وإيحاءاتها ، فالعلاقة المتوترة بين المسند والمسند إليه زيت ناري التي تقوم على المنافرة بينهما توحي بدلالة الثورة والتحدي في قوله:[12]

ثري أنا
رغم ما في التفاصيل من حسك
زيت ناري انتظاري
لحلم يشبّ عن الطوق يوما
ويسعى مع الناس
يشعلني
ويضمخ بالاخضرار اصطباري

ينتج لنا الشاعر محمد الفقيه صالح من فضائه المتخيل لغة ناجزة غير جاهزة ينكسر فيها اعتيادها وتنفتح على رحاب دلالات وإيحاءات، تعبر عن حالة الغيظ والغضب والثورة، مفسحة المجال لدوال جديدة غير نمطية، لغة متمردة على قوالبها تشرك القارئ عبر انزياحها بالانفتاح على دلالات وحقول جديدة، في قوله[13]

[11] الفقيه، محمد صالح، *ديوان حنو الضمة سمو الكسرة*، اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، طرابلس، 2008، ص 9
[12] نفسه، ص44
[13] نفسه، 2008، ص59

إنّي وجع الأرض الحبلى
الشجر الطالع من محنتها
لا يحرقني غيظ النار
أنا النيران

تتسع دلالة النار هنا لتقطع بين دلالتين: الأولى ترمز إلى نار الحقد (لا يحرقني غيظ النار) والثانية ترمز إلى الثورة والتحدي (أنا النيران) ويتولد الاحتراق طقسا متجددا في التضاد بين الدلالتين الرمزيتين دلالة الحقد التي هي سلبية ودلالة الثورة والتحدي التي هي إيجابية.

يلعب كسر معيار اللغة وانزياحها عن السائد المألوف في تشكيل لغة فنية لها أبعاد جمالية وإيحائية، تنتج عنها علاقات دلالية جديدة، حيث يعبّر الشاعر عن حالة الثورة مستخدما لفظة عود ثقاب كمعادل رمزي للتغير والثورة بما توحي به اللفظة من حسّ ثوري غاضب، وهو مار نرصده في قوله:[14]

صار
يلزم عود ثقاب
وشيء من البرق في لغة يقشعر المدى
من حشاشتها إذ تهب
لتنتزع الروح من قاعها
وتطلقها في مدار الغضب

معجم حقول الثورة والتحدي الذي عبّرت عنه ألفاظ خرجت عن السائد المألوف في "شهوة الانفجارات" التي توحي بقدرتها على التغيير والتصادم والرفض والتحدي وهي دلالات يستعين بها الشاعر محمد الفقيه صالح في مواجهة تناقضات الواقع وآلامه في قوله:[15]

[14] الفقيه، محمد صالح، ديوان حنو الضمة سمو الكسرة، 2008، ص87
[15] نفسه، ص 98

وأحيانا
تشرق في داخلي شمس الرفض
وشهوة الانفجارات الكامنة
وها أنا أقف أمام بوابتك
شارتي: الانتظار
وزادي: الحلم

كشف معجم الحقول الدلالية عن طبيعة التكوين المعرفي الذي تحتضنه النار، إذ استمدت فاعليتها عبر استحضار رمزية النار كثقافة جاورها الإنسان في حياته وتعددت تجلياتها الإيحائية في الأدب وخاصة الشعر ، فقد تعددت رمزية النار برؤى دلالية تنوعت وتباينت بتنوع سياق النار كما في الشعر العربي القديم، فهناك: نار الحرب، نار الحبّ، ولكن هنا في القصائدالمدروسة اقتصرت على رمزية الغضب والثورة، باعتبار مفهوم النار كقوة أو فعل داخلي تعتمل فيه مشاعر المعاناة والألم والعذاب والاحتراق، باستغلال عناصرها وإيحاءاتها ضمن فضاءات توتر واقعي تعانيه الذات، الذي يوجه الدلالة نحو المزج بين الفورة والغضب، الثورة ومظاهر التقلب والتغيير،" هكذا هي النار ذات امتياز يمكن أن تفسر كل شيء، وإذا كان كل ما يتغير بطيئا تفسره الحياة، فإن كل ما يتغير سريعا تفسره النار"[16].

استخدام رمز النار ضمن معجم الحقول الدلالية في الديوان أضفى على لفظة النار شعرية من خلال خروج هذه اللفظة عن معجمها الأصلي إلى فضاء دلالي وإيحائي أرحب، إذ حققت من خلال حقولها الدلالية جمالية النص عبر وظيفة اللغة بتشكيلاتهاالفنية وإيحاءاتها التي استمدت منها هذه الألفاظ شعريتها، إذن شعرية لفظة النار والألفاظ الدالة عليها كقيمة جمالية ماثلة في النصوص تحققت من خلال أبعادها الإيحائية ضمن معجم الحقول الدلالية للنار.

[16] غاستون، باشلار، *النار في التحليل النفسي*، تر، نهاد خياطة، دار الأندلس، بيروت ،1984، ص11

الحقول الدلالية لمعجموالحزن والمرارة

لا شك أن الخطاب الشعري لقصيدة السجن يدفعنا لتتبع كيفية نمو الوعي التاريخي فيه، باعتباره وثيقة من الدرجة الأولى لوقائع حياة الشاعر الشعورية والسياسية والإنسانية، فهو مستمد من صميم عالمه الداخلي المكشوف، ومن خواص فترات تقلبات أوضاعه أنذاك، فأوضاعه انعكست على قصائده بلغة مريرة جسدت علاقة الشعور الداخلي بالوضع الخارجي"فالعلاقة عنده بين الداخل والخارج لا تتناقض ولا تتباعد، بل لا يعدو الخارج أن يكون مجرد "تخريج" مباشر للداخل الممتزج بدوره بمعطيات العالم من حوله"[17].

احتوى معجم الحزن والمرارة على ألفاظ لغوية تجريدية غير حسية تشير إلى معنى مجرد نستشعره داخل نفوسنا أو نفهمه بعقولنا، لكن لا نجده مجسدا لحواسنا، بل نفهمه من خلال الإثارة المحسوسة في الواقع عبر شعورنا بالحزن أو المرارة، وما ينتج عنها من دلالات. تضمن معجم الحقول الدلالية للحزن والمرارة على 11 جذرا، وقد وردت ألفاظ معجم الحزن والمرارة في قصائد الديوان في سياقات مختلفة، اكتسبت بعضها دلالات جديدة وبعضها بقي على دلالته المعجمية، وهذه الجذور هي: الكآبة، الوجع، المرارة، الحزن، البكاء، الوحشة، الدمع، الهّم، الكالحة، مواجعي، الحزن المعرش.

عكس معجم الحزن والمرارة معاناة الشاعر في أوضاع مأسوية داخل السجون، فجاءت ألفاظه كئيبة حزينة نابعة من ذاته المعذبة وهو ما عبرّ عن حالة الحزن والكآبة التي يعيشها في قوله:[18]

في لحظات الكآبة

ينطرح الهمّ ثقيلا على صدري

عبّر معجم الحزن عن حالة الشاعر النفسية ووضعه داخل السجون، فقد فاضت أحزانه التي عبرّ عنها بإنتاج علاقات جديدة للدوال من خلال انزياحها بتشخيص المرارة، إذ خرجت لفظة المرارة عن معناها المعجمي لتدل على

[17] فضل، صلاح، *أساليب الشعرية المعاصرة*، 1995، ص60

[18] الفقيه، صالح، *ديوان حنو الضمة سمو الكسرة*، ص99

حالة الشعور بالغصة والألم، وتجسد حالة الشعور بالقهر الذي يعانيه السجين الشاعر محمد الفقيه صالح:[19]

أهلا بطلعتك البهيّة في زمان التيه
سيدتي المرارة
مرحبا..
لكِ أن تكوني في الثواني
في شرار سحابتين
وفي المطر
في هدهدات الأم تسلم طفلها للنوم.

فاضت الأحزان واشتد القهر حتى شكّلت حالات للوجع والألم عبّر عنها الشاعر بدموع حزينة في قوله:[20]

الدمع يطفر من عيون الفجر مطعونا،
يوصد البكاء دون خاطري حدائقه
أحتمي بالوحشة البيضاء،

الشاعر محمد الفقيه صالح يحاول أن يقاوم الحزن والقهر في قوله:[21]

إذا ما تسلّل في الليل وغد
يسمونه الحزن
من جحره.
واستقامت على الضفتين تقاسيمك اللاّفحه..
صوب القلب يا صاحبي.
نحو صحو الميادين في المدن الرّامحة
وامض صوب الزمان الذي يتبرعم
لا تلتفت
للسنين التي أدبرت
والتي أسرفت في شآبيبها الكالحة.

[19] الفقيه، صالح، *ديوان حنو الضمة سمو الكسرة*، ص33
[20] نفسه ص43
[21] نفسه، ص56

عبّر الشاعر عن مشاعره وحالاته النفسية وتراكم الأحزان في نفسه، في قوله[22]

وأنت مثل مدينتي
تبخلين بالفرح
وتمتدين إيقاعات متوحشة
في سيمفونية الحزن المعرّش في الخلايا.

توظيف معجم الحقول الدلالية من خلال شبكة العلاقات المجازية والرمزية في النص الشعري تتركز وظائفها الجمالية في تعقيد نسيجها الدلالي من خلال علاقات التوتر بين الدال والمدلول عن طريق كسر العلاقة النمطية بينهما وتركيبها في السياق. ألفاظ الحقول الدلالية في هذا المعجم انطوت على كلمات تدل على الحزن والمرارة، عبّر بها الشاعر عن واقعه مستثمرا معجم حقول الحزن والمرارة، الذي حقق جمالية وشعرية النصوص عبر إيحاءاتها وعلاقاتها الدلالية المتنوعة.

الحقول الدلالية لمعجم الأمل والتفاؤل

جاء معجم الحقول الدلالية المعبرة عن الأمل والتفاؤل في إطار الصراع التي تعانيه الذات الشاعرة، من تدمير لأدمية السجين وتحطيم صلابته، وكسر إرادته، وإجباره على الخضوع، إذ ظلت الذات الشاعرة تعاني صراعا بين: قوة الإرادة والانكسار، والخير والشر، واليأس والأمل، فالشاعر وإن حاول تقريب بعض الصور لواقع معاش داخل السجون بوصف حالات والقهر، إلا أن ذلك لم يثنه عن مقاومة اليأس بالأمل، والانكسار بالصلابة، ففي مقابل معجم حقول الحزن والكآبة ودلالاتها المؤلمة، تمتد مساحة واسعة للحلم والأمل، تنظر للغد الجميل القادم المليء بالتفاؤل، الذي تجسد في حقول دلالية موحية بالفرح والاشراق، حيث أبدع الشاعر لغة شكلت معجما تفاؤليا عبّر به عن عوالم تنبض بالحياة وتملأ جنباتها الأنوار والأضواء وسط الوحشة داخل الزنازين، فقد تمثل معجم الحقول الدلالية للأمل والتفاؤل في المعجم الضوئي (الطبيعي) والمعجم النباتي، معجم الأفراح والبهجة.

[22] الفقيه، صالح، *ديوان حنو الضمة سمو الكسرة*، ص100

أ ـــ المعجم الضوئي

جاء معجم الحقول الدلالية المعبر عن المعجم الضوئي الطبيعي بعدة ألفاظ تعود إلى 7 جذور تركبت في سياقات مختلفة اكتسبت بعضها دلالات جديدة، وهذه الألفاظ التي تشكل المعجم الضوئي: الشمس، النهار، الصباح، البريق، اشراقات النور، الضوء، الشروق، بعض هذه المفردات اكتسبت دلالات جديدة من خلال سياقاتها المختلفة في تركيب بنية اللغة الشعرية عبر انزياحها عن دلالاتها المعجمية. مفردة الشمس بوصفها تحمل دلالات الأمل والانبعاث والاشراق خرجت عن معناها المعجمي لتدل على معاني جديدة استغل الشاعر طاقاتها الإيحائية، وهو ما نرصده في قوله:[23]

معي كل ما يسند القلب.
شمس وسنبلة واشتهاء.
الشمس في دمك انتشت

في موضع آخر تتسع دلالة الشمس في معجم الحقول الدلالية في ديوان الشاعر إذ تعبّر عن الحرية المفقودة في قوله :[24]

تشرق في داخلي شمس الرفض.

معجم الضياء لا يقتصر على لفظة الشمس، ولكن يمتد ألفاظ أخري تدل على الضياء منها: الضوء، والنهار، البريق، الصباح، إشراقات النور، الشروق، فهي توحي بدلالة انبعاث الأمل من جديد، فالشاعر هنا يعبّر عن حاجته الماسة للضوء، الذي يبعث فيه الأمل والحياة من جديد في قوله:[25]

أنهض حين تفيض طبول العالم بالأعراس
وأطلع من رحم ظلمات الغفل عفيا
ألمح من نافذتي
ضوء ذبال ينفذ عبر مسام الليل

---

[23] الفقيه، محمد صالح، *ديوان حنو الضمة سمو الكسرة*، ص10
[24] نفسه، ص71
[25] نفسه، ص 59

يُصرّ الشاعر على بعث الأمل في نفسه، عبر معجم حقول الضياء والبريق في قوله:[26]

كان لا بدّ أن يظلّ البريق
موقظا شهوة الاتقاد
في خطى السفر الصعب
نحو الشروق..

تعامل الشاعر مع صياغات لغوية ذات صلة بالزمن وتحمل دلالة الأمل والتفاؤل، إذ يعتبر الضوء أشهر دلالاتها مثل: والصباح، والنهار، الاشراق، هذه الحقول الدلالية لمعجم الأمل والتفاؤل تعد مؤشرا جماليا يمنحها طاقة تعبيرية وقيمة أسلوبية، وهو ما نرصده في قوله:[27]

أكون
حين لا يكون في دمي النهار صامتا.
وحين لا يصدّني.
عن مهرجان الشمس
أو تنهيدات الزرقة المحتدمهْ
تشبّ في دمي طفولة النهار
ترفّ حول خاطري النوارس المبللة
بنشوة النهار والسفر
أعبر بوبات الصحو
إلى الأزمنة البكر
يستهويني دمع الفل .. الطفل
وإشراقات الفلاحين

ب ـ المعجم النباتي

عبّرت الحقول الدلالية للمعجم النباتي في ديوان "حنو الضمة سمو الكسرة"، عن فسحة الأمل وفضاء المستقبل المشرق، الذي تمثل في قدرة الشاعر

[26] الفقيه صالح، *ديوان حنو الضمة سو الكسرة*، ص13
[27] نفسه، ص37

على استبصار الأمل والتحلي به من خلال تمسكه بالحياةوتعلقه بها، وبكل ما فيها من جمال رغم بشاعة الواقع الذي يعيشه داخل الزنازين.

استثمار الشاعر للطاقة الإيحائية للمعجم النباتي أوحى بحالة البهجة والجمال وهي غايته للخروج من حالة السجن والقهر، اختيار المعجم النباتي من خلال ألفاظه المتعددة، اكتسب النص الشعري شعرية وجمالية من خلال إيحاءاته الدلالية. خاصية توظيف المعجم النباتي في الديوان، انقسمت في هذا المعجم إلى حقلين دلاليين: حقل الزهور والورود، كرمز للجمال والاشراق والبهجة والحيوية، وحقل دلالة الخصب، وهو من أبرز علامات الميلاد والنماء، فقد تضمنت قصائد الشاعر عدة ألفاظ تنتمي إلى فصيلة الأزهار والنباتات العطرية، في 6 جذور، تمثلت في الألفاظ: النوار، الورد، فلّ، النعناع، يزهر، الزهرات.

ازدهرت وتلونت قصائد الديوان بالألوان الزاهية، وتعطرت بالروائح الزكية، وهي عوالم جمالية يحلم الشاعر في أقبية الزنازين بقرب تحققها، فقد حمل معجم الأزهار دلالات الأمل والتفاؤل بأن القادم سيكون بهيجا مفعما بالحياة والفرح، وهو ما نرصده في قول الشاعر[28]

وكان أن تفصّد الإيقاع
من توجع الجسد..
وفتّح النوار
خفّ للقطاف كل خانق ويد
أتى فتى بوردة تفور من حشاشة الأبد..
قلبي كِنٌ
تقصده أطيار العشق
إذا ما جنّ صقيع العالم
وتناغيه الشمس
وتغازله الزهرات حين يراودهنّ.

[28] الفقيه، محمد صالح، *ديوان حنو الضمة سمو الكسرة*، ص67

من دلالات الأمل التمسك بمباهج الحياة، ذلك ما استعمله الشعراء من كلمات ذات دلالة على الخصب، إذ شكلت معجما اجتمعت فيه مجموعة من الألفاظ، ارتبطت بدلالة الخصب والنماء، جاءت في 10 جذور تمثلت في الألفاظ: السنبلة، نخيل، الزيتون، يورق، الأشجار، الأغصان، الأوراق، خضرة، الأمومة الخضراء، الأعشاب.

جاء معجم الخصب والنماء من خلال دوال البذر، والزرع، والغرس، والنماء، والنباتات، والأوراق، والأشجار، والسنابل، والحدائق، التي تحمل دلالة التدفق والعطاء والنماء، فالقرى والمدن تفيض بالعطاء وتبعث من جديد وتنمو الأغصان، وتكبر الأشجار، وتزهر الحدائق، إنها الحياة تتراءى في عيون الشاعر، فهي الأمل في دنيا تضج بالحياة والصخب، تكون بديلة عن حياة القهر والقمع داخل الزنازين. وهو ما عبّر عنه في:[29]

صديق للأشجار أنا
وأنيق يخطب ودّي العشب
حديقة صمتي تزهر
حين تطل فراشة قلبي
من بين الأغصان
وتفعمني بنهار صافٍ
تطعمني شفتاها الفستق
وتحاورني بأناملها الفصحى
أمشي في الطرقات إلى جانبها طفلا غرا
حتى ألمس يدها
فيضج النعناع

يوظف الشاعر المفردات الدالة على الخصب والنماء في مقاومة وحشة الزنازين في قوله:[30]

[29] الفقيه،مجمد صالح، *ديوان حنو الضمة سمو الكسرة*، ص69
[30] نفسه، ص17

أزهرْ..
وكن في نشوة التلوين
سنبلة انشراح..
فلا بدّ أن نلتقي ياغيوم الشجن
على ضفة الاشتهاء الجريح
شهودا على هذه المرحلة ..
ولا بدّ أن يعترينا النهار الفصيح
لتشهق بالخصب في خطونا سنبلة..

وفي هذا المعنى يقول الشاعر[31]

ترفّ في خاطري النوارس المبللة
بنشوة النهار والسفر
فإذا ما غبتُ في حوار زهرتين
أو في تبتل الأشجار والأعشاب
لغبطة الرياح والمطر
أو في اشتعال الكون بالأمومة الخضراء

جـ ــ معجم البهجةوالأفراح

لا يقف معجم الحقول الدلالية للأمل والتفاؤل عند الحقول النباتية المتجسدة في الأزهار، والخصب والنماء، بل يتجاوزه عبر توالد ألفاظ الأمل والتفاؤل صانعة عالما من البهجة والفرح في مقابل الحزن والمرارة، فقد استحضر الشاعر عوالم الفرح والسعادة من خلال دوال الفرح، فقد حفل معجم الأفراح والبهجة من خلال الحقول الدلالية للبهجة والسعادة، التي جاءت في 4 جذور لغوية، تمثلت في: الأعراس، الغناء، موسيقى، الرقص.

[31] الفقيه، محمد صالح، *ديوان حنو الضمة سمو الكسرة*، ص39. وينظر للديوان نفسه صفحات 20. 21. 22. 69. 71

الشاعر في استثماره لهذه الحقول الدلالية يدل على تمسكه بحقه في الحياة بنظرة يملؤها التفاؤل والأمل، فعبّر عن تطلعه للمستقبل الواعد بالفرح والسعادة، إذ تنبثق الألفاظ المعبرة عن الفرح من ركام الحزن والقهر، حيث يعبّر الشاعر عن أمله وتفاؤله بالحياة مستغلا معجم حقول الفرح في قوله:[32]

انهض حين تفيض طبول العالم بالأعراس.

استثمر الشاعر حقول الفرح من خلال: ألفاظ الموسيقى والرقص والغناء ليعبر بها عن أمله في حياة بهيجة مفعمة بالسعادة في مقابل حياة الحزن والمرارة، في قوله:[33]

ثمة موسيقى تنساب
ومرج من هيف وحبور
فاشتعلت على صدر الحبيبة بالغناء
ولا شيء أبهى من الشعر
حين يذرذرنا فرحا في خواء المواقيت
لا شيء أطيب من نزهة في مروج
الغناء الجماعي

يمكننا ملاحظة أن معجم الحقول الدلالية في ديوان "حنو الضمة سمو الكسرة" امتاز بتجربة خاصة عاشها الشاعر داخل السجن، فقد خاض تجربة شعرية كانت لها ملامح بارزة في اختياره لمعجم ألفاظه، بصيغ وأساليب كان أساسها عملية الاختيار التي شكلت تنوعا أسلوبيا ميّز تجربته الشعرية فالمتأمل في معجم الشاعر محمد الفقيه صالح، يجد أنه تغلب عليه لغة الاشتهاء والاشتعال، والتوهج، واليقظة والصبوة والتكوين، معجمه مسكون بهاجس التغيير والتفجر على المستويين: الرؤية واللغة.

[32] الفقيه، صالح، *ديوان حنو الضمة سمو الكسرة*، ص57
[33] نفسه، ص62- 83

الخاتمة

من خلال دراسة معجم الحقول تبين أن الكلمات داخل الحقل الواحد ليست ذات وضع متساو؛ لأن أهم مميزات الحقول الدلالية، أنها تنقسم إلى أقسام وتصنيفات كما سبق، وكل قسم منها يحتوي على المجموعة التي تندرج تحته وتتفرع من الأقسام أقسام أخرى صغرى، كذلك نلاحظ أن هناك ألفاظ أساسية أو مفاهيم مركزية لهذه الحقول، أما بالنسبة للحقول الدلالية وما تربطها من علاقة، فالملاحظ أن علاقة المفردات في الحقول التي تمت دراستها تربطها علاقة الترادف من خلال معاني الكلمات المتقارب مع الكلمات الأخرى في المعجم الدلالي نفسها، التي قد تخرج عن معناها المعجمي لتحكمها شبكة من العلاقات المجازية والرمزية.

بوسعنا أن نختبر مظهر التنوع اللغوي في الديوان للنصوص المدروسة، على المستوى المعجمي الدلالي من خلال ملاحظة عدد الجذور اللغوية، وشبكة العلاقات القائمة بينها، وطبيعة اختيارها في حدّ ذاتها. فعبر تتبع الجذور اللغوية الثلاث الأكثر دورانا وترددا في القصائد المدروسة، التي تقع في تشكيل ثلاثي يتضمن معجم الثورة والتحدي، ومعجم الحزن والمرارة، في مقابل معجم الأمل والتفاؤل، فقد لوحظ أن مفردات الأمل والتفاؤل تكثر على حساب مفردات الحزن والمرارة؛ والنتيجة الأسلوبية التي نستخلصها من ذلك، أن علينا أن نضّم مفردات الثورة والتحدي باعتبارها حقلا إيجابيا إلى مفردات الأمل والتفاؤل ونقيم تقابلا بينهما وبين مفردات معجم القمع والحزن والمرارة، النتيجة أن الانضمام يرفع نسبة الجانب الإيجابي في الجدلية الكبرى ويسمح بتغليبه على الوجه السلبي وهو الحزن في الدلالة.

فإذا تتبعنا الأرقام نجد أن جملة الجذور التي تدور حولها الحقول الدلالية للحزن والمرارة الذي يبلغ عدد جذوره 11، في مقابل معجم دلالات الحزن والمرارة تأتي مجموعة الحقول الدلالية لمجموعة الأمل والتفاؤل، التي تنقسم إلى: معجم الحقل الضوئي الذي تبلغ جذوره 7، ومعجم الحقل النباتي بفرعيه

الأزهار والورود 6 جذور والخصب والنماء10جذور، ومعجم الأفراح والبهجة 4 جذور، بإضافة إلى معجم الثورة والتحدي الذي يبلغ عدد جذوره 10 جذور، مع أن هذه الأرقام لا يمكن أن تمدنا بدلالات نهائية للحقول الدلالية المهيمنة على المعنى في الديوان، إلا أنها تعتبر مؤشرات قوية على هيمنة حقول التفاؤل والأمل في مقابل الحزن والمرارة، فإذا أدخلنا في حسابنا أوضاع التركيب (وليس المفردات) وسوقها على سبيل الحقيقة أو المجاز، التي تساهم دون شك في بنية النص الشعري لقصائد الديوان، ولكن تبقى حقيقة مبدئية لا سبيل إلى تغييرها وهي؛ غلبة هذا المحور الدلالي المتمثل في ثلاثية معجم الثورة والتحدي، ومعجم الحزن والمرارة، ومعجم الأمل والتفاؤل، بسيطرتها على أسلوب الديوان، كما يمكننا الالتفات إلى مجموعة دلالية أخرى ترتبط بهموم المجتمع وما يصيبه من ظلم وثورة ومعاناة المقهورين فيه، التي تشتبك مع دلالات ومفاهيم الموت والحب والحياة والنضال، وتتمثل في كثير من الأحيان في بعدها المجازي في عملية الترميز، حيث كثيرا ما تكون الحبيبة هي الوطن أو الثورة، ويكون الموت هو القمع والطغيان.

النتائج

تقوم فكرة الحقول الدلالية على المفاهيم العامة التي تؤلف بين المفردات، أي كل مدلولات اللغة تنتظم في حقول دلالية (حقول معجمية)، كما لا يمكن إغفال السياق الذي يرد في المفردات اللغوية، فقد تميزت التجربة الشعرية في الديوان بقدرتها على إنتاج دلالات معجمية جديدة للحقول الدلالية من خلال تحرير الألفاظ من سياقها المعجمي ودفعها نحو لعبة الدلالات وتحولات المعنى، حيث تتخطى هذه الألفاظ مظاهر التوصيل بلوغا للمستوى الإيحائي والجمالي الذي يتموضع في حيوية المجاز والانزياحات اللغوية. فالعلاقة التي تربط المفردات اللغوية المندرجة في حقول دلالية هي علاقة الترادف.

تلّون معجم الحقول الدلالية للشاعر من خلال مخزونه الثقافي والفكري، وعبّر عن رؤيته الفنية واختياراته الأسلوبية لألفاظه وتعبيراته المختلفة، فقد تنوعت ألفاظه على المستوى المعجمي الدلالي حيت تجسدت في تشكيل ثلاثي يتضمن معجم الثورة والتحدي، ومعجم الحزن والمرارة في مقابل معجم الأمل والتفاؤل. يغلب على الديوان محور النضال بدلالاته المتنوعة، سواء أكان بالثورة والتحدي أو مقاومة الحزن، أو برؤية المستقبل من منظور الأمل والتفاؤل بغد تشرق فيه شمس الحرية.

رسم توضيحي للحقول الدلالية للمعاجم الأكثر حضورا وتداولا في النصوص الشعرية في الديوان:

معجم الحقول الدلالية في ديوان "حنو الضمة سمو الكسرة"

المصادر والمراجع

- بروين، حبيب، 1999، تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.
- جبل، عبد الكريم محمد حسن،1997 في علم الدلالة، دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1.
- عمر، أحمد مختار، 1993، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1.
- غاستون، باشلار، 1984، في التحليل النفسي، تر. نهاد خياطة، دار الأندلس، بيروت، ط1.
- فضل، صلاح،1995، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب بيروت، ط1.
- الفقيه، محمد صالح، 2008، ديوان حنو الضمة سمو الكسرة، اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، طرابلس، ط1.
- قطوس، بسام، 2005، الإبداع الشعري وكسر المعيار، مجلس النشر العلمي لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت، ط1
- مجمع اللغة العربية، 2004، المعجم الوسيط، دار مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4.
- مليطان، عبد الله، 2001، معجم الشعراء الليبيين، دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني، طرابلس، ط1.